العدد 19 تشرين الثاني 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

النفس المطمئنة في القرآن الكريم (دراسة تحليلية في الأصول والتأويل)

إسم الباحث: حزام غالي فندي

hazem.alsalihi80@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النفس المطمئنة – التفسير – التأويل – الرضا – الإمامة

The tranquil soul in the Holy Qur'an (an analytical study in its origins and interpretation)

Researcher's Name: hazam ghali fnde

Keywords: Tranquil Soul – Qur'an – Exegesis – Contentment – Imamate

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع النفس المطمئنة في القرآن الكريم من منظور تفسيري–عقائدي، مستنداً إلى النصوص القرآنية والروايات المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام). وقد سعى إلى تحليل المعاني اللغوية والاصطلاحية لمفهوم النفس، وبيان موقع النفس المطمئنة ضمن مراتب النفس الإنسانية، ثم استعراض التفسير العام الذي يربطها باليقين والرضا كحالة إيمانية عليا، والتأويل الخاص الذي يعتبر الإمامة والولاية مصداقها الأسمى، ولا سيما في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام). اعتمد البحث المنهج التحليلي–الاستقرائي، فجاءت نتائجه مؤكدة أن النفس المطمئنة ليست مجرد حالة نفسية فردية، بل هي مقام قرآني يجمع بين البعد النفسي–الروحي والبعد العقدي–التأويلي. كما أظهر أن الاطمئنان لا يتحقق إلا بالرضا الكامل عن الله تعالى والتسليم لقضائه، وأن الذكر والطاعة والولاية تمثل الوسائل العملية لتحقيق هذه المرتبة. وتوصي الدراسة بتعميق البحث في مراتب النفس، والاستفادة من مفهوم النفس المطمئنة في البناء التربوي والنفسي للمجتمع، مع تشجيع الدراسات المقارنة بين المفهوم القرآني والمعطيات الحديثة في علم النفس الديني.

Abstract:

This research explores the concept of the Tranquil Soul (al-nafs al-mutmaʾinna) in the Qur'an through an exegetical and theological approach, relying on both Qur'anic texts and narrations from the Ahl al-Bayt (peace be upon them). The study analyzes the linguistic and terminological meanings of the "self" and positions the tranquil soul as the highest stage among the Qur'anic classifications of the soul. It highlights two interpretive dimensions: the general interpretation, which views the tranquil soul as a state of faith, certainty, and contentment attained by believers; and the specific interpretation, which connects it to the doctrine of Imamate and Wilayah, with Imam al-Husayn (peace be upon him) presented as its supreme manifestation. Employing an analytical-inductive methodology, the research concludes that the tranquil soul is not merely a

psychological state but a Qur'anic station uniting spiritual, psychological, and theological dimensions. It demonstrates that true tranquility is achieved only through full submission and satisfaction with God's decree, while remembrance, obedience, and loyalty to divine authority serve as the practical means to reach it. The study recommends further exploration of the Qur'anic concept of the soul, applying its insights to educational and psychological frameworks, and encouraging comparative studies between Qur'anic spirituality and contemporary religious psychology.

المقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع والمعرفة في الإسلام، وهو الكتاب الذي لم يترك جانباً من جوانب الإنسان إلا وتعرض له بالبيان والهداية. ومن الموضوعات المركزية التي تناولها القرآن قضية النفس الإنسانية ومراتبها، "إذ شكّلت النفس محوراً أساسياً لفهم علاقة الإنسان بربه وبالوجود من حوله"[1]. وقد تدرج القرآن في عرض مراتب النفس بين النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، وصولاً إلى قمة الارتقاء وهي النفس المطمئنة التي بشّرها الله بالرضا والقبول والجنة تنبع أهمية هذا المفهوم من كونه يجمع بين البُعد النفسي–الروحي، باعتباره ذروة الاطمئنان والسكينة، والبُعد العقدي–التأويلي، إذ ربطته الروايات المأثورة بمقام الإمامة والولاية، وبشخصيات محورية كالإمام الحسين (عليه السلام) الذي جسّد في كربلاء الرضا الكامل بقضاء الله. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتقدّم مقاربة تحليلية في الأصول والتأويل، تكشف عن المعاني الظاهرة والباطنة للنفس المطمئنة، في ضوء القرآن والروايات، وتوضح أثرها في بناء الإنسان المؤمن المتكامل

مشكلة الدراسة:

تُعدّ النفس المطمئنة من المفاهيم القرآنية ذات العمق الدلالي والثراء التفسيري، حيث ارتبطت في سورة الفجر بقمة مراتب النفس الإنسانية، وبالوعد الإلهي للعبد المؤمن بالرضا والقبول. غير أن هذا المفهوم ظل محل اختلاف بين المفسرين والباحثين؛ فالبعض فسّره على أنه حالة نفسية عامة من الإيمان والسكينة يعيشها المؤمنون نتيجة اليقين بالله، في حين ذهب آخرون خاصة في التراث الروائي الشيعي إلى تأويله بمصاديق خاصة مرتبطة بالإمامة والولاية، وخصوصاً شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) الذي جسّد في كربلاء أرقى صور الرضا والاطمئنان.

وتكمن مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس: كيف يمكن الجمع بين البُعد التفسيري الظاهري للنفس المطمئنة باعتبارها حالة إيمانية عامة، وبين البُعد التأويلي الباطني الذي يربطها بالولاية والإمامة في الروايات الشيعية هذا السؤال يفتح المجال للكشف عن أبعاد جديدة للنص القرآني، حيث يلتقي التحليل النفسي والروحي مع التأويل العقائدي، ويبرز التكامل بين العقل والنقل في فهم القرآن.

أهمية الدراسة

أهمية هذه الدراسة تتضح من عدة جوانب:

[1] انوار زهير نوري، النفس الإنسانية وثغراتها وكيفية تغييرها والارتقاء بها، جامعة بغداد / كلية التربية للبنات،2012، ص6

1. الأهمية القرآنية: إذ أن موضوع النفس من أبرز الموضوعات التي يتكرر تناولها في القرآن، ابتداءً من النفس الأمارة بالسوء، مروراً بالنفس اللوامة، وصولاً إلى النفس المطمئنة كأعلى مراتب الكمال الروحي. دراسة هذا المفهوم بعمق تكشف عن وحدة موضوعية في الخطاب القرآني حول النفس الإنسانية.
2. الأهمية التفسيرية والعقدية: تكمن في إبراز كيفيات تفاعل التفسير الظاهري مع التأويل الباطني، حيث لا يقتصر النص على الدلالة العامة بل يتسع ليشمل معاني عقائدية أساسية كالإمامة والولاية.
3. الأهمية الفكرية والنفسية: إذ توضح كيف يُعالج القرآن القلق والاضطراب الإنساني، ويطرح الطمأنينة والرضا كعلاج نفسي وروحي، الأمر الذي يمنح المفهوم بُعداً معاصراً يمكن الاستفادة منه في دراسات علم النفس الديني.
4. الأهمية المنهجية: فهي تقدم نموذجاً للدراسات القرآنية التي تمزج بين التحليل اللغوي والتفسير العقائدي والنفسي، بما يفتح مجالاً أوسع للدراسات البينية (Interdisciplinary Studies).

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس:

تحليل مفهوم النفس المطمئنة في القرآن الكريم دراسة تفسيرية–عقائدية، تجمع بين البُعد النفسي–الروحي والبُعد العقدي–التأويلي، مع بيان تطبيقاته في حياة المؤمن الفردية والجماعية.

الأهداف الفرعية:

1. توضيح الدلالات اللغوية والاصطلاحية للنفس في التراث العربي والإسلامي، تمهيداً لفهم موقع النفس المطمئنة بينها.
2. دراسة التفسير القرآني للنفس المطمئنة باعتبارها حالة إيمانية عليا يعيشها المؤمنون عند الموت والبعث.
3. بيان كيف ربطت الروايات الشيعية مفهوم النفس المطمئنة بمصاديق الإمامة والولاية، وخصوصاً الإمام الحسين (عليه السلام).
4. الكشف عن العلاقة بين الاطمئنان النفسي والرضا بالقضاء الإلهي كمدخل إلى السكينة الروحية.
5. إجراء مقارنة بين التفسير العام والتأويل الخاص لإبراز تكامل الدلالات، وإظهار انعكاساتها التربوية والنفسية على حياة المسلم.

أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيس:

كيف يُفهم مفهوم النفس المطمئنة في القرآن الكريم بين التفسير العام والتأويل الخاص في ضوء الروايات المأثورة عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)؟

الأسئلة الفرعية:

1. ما هي المعاني اللغوية والاصطلاحية لمفهوم النفس في القرآن واللغة العربية، وما موقع النفس المطمئنة ضمن مراتب النفس الأخرى؟
2. كيف فسرت المصادر التفسيرية الكبرى النفس المطمئنة باعتبارها حالة إيمانية عامة للمؤمنين؟
3. ما الذي تضيفه الروايات الشيعية من أبعاد عقائدية وتأويلية خاصة على هذا المفهوم، ولا سيما ربطه بالإمام الحسين (عليه السلام)؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسة:

النفس المطمئنة في القرآن الكريم ليست مفهوماً بسيطاً ذا بعد واحد، بل هي مفهوم مركب ذو بعدين: عام يتعلق بالمؤمنين كحالة إيمانية عليا، وخاص يتمثل في مصاديق الإمامة والولاية، مما يعكس ثراء النص القرآني وقابليته للتأويل المتعدد.

الفرضيات الفرعية:

1. إن التحليل اللغوي والاصطلاحي للنفس يُعد مدخلاً أساسياً لفهم المعنى القرآني للنفس المطمئنة.
2. التفسير العام يركز على الاطمئنان النفسي الناشئ عن الإيمان والذكر والرضا بالقضاء الإلهي.
3. التأويل الخاص عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يربط النفس المطمئنة بالولاية، ويعتبر الإمام الحسين (عليه السلام) المصداق الأكمل لها.

الدراسات السابقة:

1. "النفس المطمئنة في سورة الفجر: دراسة موضوعية" للدليمي زبن عجيمي إبراهيم عبد الله (2019)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد 1.

هذه الدراسة تركز تحديداً على النفس المطمئنة في سورة الفجر، من الناحية الموضوعية، حيث تبيّن المعنى اللغوي والشرعي للآية، وتعرض السياق، وتحليل كيف تنتقل النفس إلى حالة الطمأنينة.

2. "إصلاح النفس في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)" للدكتورة حصة بنت حمد بن محمد الحواس، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، المجلد 17، العدد 2، 2023.

تدرس هذه الورقة أنواع النفس في القرآن، منها النفس المطمئنة، والنفس الأمارة، والنفس اللوامة، وتعرض وسائل إصلاح النفس لتحقيق الطمأنينة مثل قراءة القرآن، التقوى، التحلي بالفضائل وترك الرذائل.

3. "مراعاة القرآن الكريم لمخاطبة النفس البشرية (دراسة موضوعية)" نواف مزيد حسن السريحي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد 40، العدد 1، مارس 2024.

هذه الدراسة تتناول كيف يُخاطب القرآن النفس البشرية، بما في ذلك مراحل النفس وأنواعها، وتركز على مخاطبة القرآن للمؤمن للنهوض بأخلاقه وضبط نفسه.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي–الاستقرائي الذي يقوم على:

التحليل النصي: بدراسة ألفاظ النفس في القرآن الكريم واستنباط دلالاتها.

الاستقراء التفسيري: بجمع آراء المفسرين القدامى والمعاصرين من مختلف المدارس، خاصة الإمامية (الطوسي في التبيان، الطبرسي في مجمع البيان، القمي في تفسير القمي، الحويزي في نور الثقلين، البحراني في البرهان).

التحليل العقائدي–التأويلي: بتوظيف الروايات المأثورة عن الأئمة (عليهم السلام) للكشف عن الأبعاد الباطنية للمفهوم.

المنهج المقارن: بالمقارنة بين التفسير العام والتأويل الخاص لإبراز أوجه الالتقاء والاختلاف.

المنهج النفسي–الروحي: بتحليل العلاقة بين الاطمئنان النفسي والرضا بالقضاء الإلهي في ضوء الآية ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾[2]

المبحث الأول: مفهوم النفس المطمئنة

2 سورة الفجر: الآية 27.

المطلب الأول: تعريف النفس لغةً

تدل كلمة النفس في اللغة العربية على معانٍ متعددة ومتنوعة، فهي في أصلها تدل على الروح التي بها قوام الحياة، غير أنّ الاستعمال العربي وسّعها لتشمل أبعاداً أخرى.

فالفعل "نَفَّس" يُستعمل بمعنى "التخفيف والتفريج عن الغير"[3]، فالنفس قد ارتبطت بمعنى رفع الضيق وإزالة الهمّ. كما تُطلق على الروح، فيقال: "خرجت نفسه أي فارقت روحه الجسد"[4]، وهو الاستعمال الأكثر شيوعاً في النصوص. وتستعمل أيضاً بمعنى العين أو الحسد، فيقال: "أصابته نفس" أي أصابته عين. ومن جهة التذكير والتأنيث، فهي مؤنثة إذا أُريد بها الروح، كما في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[5]، ومذكرة إذا أُريد بها الشخص أو العدد، كقولهم: "عندي خمسة عشر نفساً"[6].

وفي الاستعمال القرآني، وردت النفس بمعنى الذات الإنسانية الكاملة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾[7] أي في ذاتك وما تضمره، أما معاجم اللغة كـ لسان العرب فقد ذكرت أنّ النفس تطلق على "العظمة والهمة والعزّة وكنه الشيء وحقيقته"[8].

ومن هنا يتضح أن النفس في اللغة ليست محصورة في معنى الروح وحدها، بل تشمل الذات والكرامة والطموح، وهو ما جعلها في النص القرآني لفظة جامعة تعبر عن حقيقة الإنسان بكل أبعاده.

المطلب الثاني: تعريف النفس اصطلاحاً

---

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،(ت 606هـ)– تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي– المكتبة العلمية– بيروت –1399هـ– 1979م.: 5/ 203.

[4] القاموس المحيط–محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،(ت 817هـ)– مؤسسة الرسالة– بيروت، 1/ 745.

[5] سورة آل عمران : الآية 185

[6] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي– احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي،(ت 770هـ)– المكتبة العلمية– بيروت، 617/2.

[7] سورة الأحزاب : الآية 37

[8] لسان العرب– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري،(ت 711هـ)– دار صادر– بيروت– الطبعة الأولى. مادة (نفس)، 6/ 233

أما في الاصطلاح، فقد اتسع الجدل بين العلماء المسلمين في تحديد مفهوم النفس، خصوصاً بين الفلاسفة والمتكلمين وأهل العرفان، فقد عرّفها بعضهم بأنها جوهر لطيف بخاري[9] به تتحقق الحياة والحركة والإحساس، ولذلك سُمّيت "الروح الحيواني"[10]، وهو تعريف يُظهر ارتباط النفس بالجانب الحيوي للإنسان. وذهب آخرون إلى أنّ النفس "جوهر نوراني خفيف يسري في الجسد كما يسري ماء الورد في الورد"[11]، أي أنها كيان معنوي لطيف يمنح الجسد الإدراك والقدرة على الحركة. وقد وردت تعاريف تؤكد ارتباط النفس بالبعد الإلهي والمعنوي، فهي ليست مجرد قوة مدبّرة، بل جوهرٌ متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف، يقوم بدور القيادة والتوجيه، فإذا فارق الجسد صار روحاً محضة. فالنفس هي ميدان التزكية والتهذيب، وأن صلاحها يقود إلى السعادة وفسادها يقود إلى الهلاك، وبهذا يتضح أنّ النفس في الاصطلاح عند علماء الإسلام عموماً، ليست مفهوماً واحداً جامداً، بل هي جوهر مركّب يجمع بين البعد الحيوي والمعرفي والروحي، وتشكل محوراً لفهم الإنسان وعلاقته بالله تعالى، حيث تُعد وسيلة التزكية والتهذيب للوصول إلى الكمال.

والنفس المطمئنة كما وصفها العلامة الطباطبائي في تفسيره لقوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[12]

"هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضي به فترى نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو وشر أو نفع أو ضر ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع وضر ابتلاءاً وامتحاناً إلهياً"[13] فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان وإكثار الفساد والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقَرٍّ من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط...

وتوصيفها بالراضية لأن اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدَّر وقضى تكويناً أو حكم به تشريعاً فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربه رضي الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلا خروج العبد من زيّ العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضا ربه ولذا عقب قوله "راضية" بقوله: "مرضية" .

---

[9] الدكتور: سعد رياض ،موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، دار ابن الجوزي– القاهرة– د.ط– 2008م، 109.

[10] علي بن محمد بن علي الجرجاني،(ت 816هـ)، التعريفات، دار الكتاب العربي– بيروت– تحقيق: إبراهيم الابياري– الطبعة الأولى– 1405هـ.، 132.

[11] الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت 1270هـ) *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. البغدادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج17، ص46.

[12] سورة الفجر: الآيات 27–30

[13] الطباطبائي، محمد حسين *الميزان في تفسير القرآن*. قم المقدسة: جماعة الحوزة، 1321–1402هـ، ج20، ص285.

المبحث الثاني: تأويل مفهوم النفس المطمئنة: دراسة تفسيرية-عقائدية في ضوء القرآن والروايات المأثورة

في هذا المبحث، نستعرض تأويل مفهوم "النفس المطمئنة" كما ورد في الآية الكريمة من سورة الفجر: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾. هذه الآية تصف النفس المطمئنة بوصف يعكس حالة الطمأنينة والعودة إلى الله برضا تام، حيث تكون النفس في أصلها قريبة من الله، بعيدة عن تيه الدنيا، كما يشير دعاء الإمام الحسين (عليه السلام): "إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار"[14]. فالنفس ترجع راضية عن الله ومرضية منه، تدخل في عباده الصالحين وجنته، مما يجعل الرضا أساسًا لتحقيق هذه المرتبة.

يُعد مفهوم "النفس المطمئنة" من أبرز المفاهيم النفسية في القرآن الكريم، حيث يأتي في سياق سورة الفجر التي تتحدث عن أقوام سابقة وأحوال الآخرة، مما يجعله ذروة في وصف حالة الروح البشرية عند الرجوع إلى الله تعالى. هذه الآية ليست مجرد وصف لحالة فردية، بل هي دعوة إلهية تكريمية للنفس التي بلغت درجة اليقين والسكينة، كما يظهر من سياقها الذي يقابل بين أصحاب الشمال (الأشقياء) وأصحاب اليمين (السعداء). في المنظور التفسيري، "يُنظر إلى التأويل كوسيلة لكشف الطبقات الدلالية للنص، سواء الظاهرة التي تتعلق بالإيمان العام، أو الباطنة التي ترتبط بالعقائد الجوهرية مثل الولاية"[15]. هذا النهج يعتمد على أصل قرآني أساسي يؤكد على التوفيق بين صريح العقل كالفهم النفسي للاطمئنان كحالة من الاستقرار الروحي وصحيح النقل من الروايات المأثورة، مما يجعل التأويل أداة لفهم عميق للنص القرآني.

تاريخياً، شكل تأويل هذه الآية محوراً في الدراسات النفسية والعقائدية، حيث ربطها المفسرون بمراتب النفس البشرية، من النفس الأمارة بالسوء (التي تدفع إلى الشهوات) إلى النفس اللوامة (التي تنهى عن الشر) ثم النفس المطمئنة كقمة الارتقاء الروحي. هذا الارتقاء يعكس رحلة الإنسان نحو الكمال، مستنداً إلى الروايات التي تُعد مصدراً أساسياً لفهم المعاني الباطنة.

على سبيل المثال، "يُبرز دور الولاء لأهل البيت كشرط لتحقيق هذا الاطمئنان، مما يجعل التأويل ليس مجرد تفسيراً لغوياً بل تحليلاً عقائدياً يربط بين النفس الفردية والمبدأ الإمامي"[16].

حيث أن هناك "حق للنفس على الإنسان بأن يستوفيها في طاعة الله، ولا يجعل للشيطان عليها سبيلاً، مما يؤدي إلى تهذيب النفس نحو حالة الاطمئنان"[17].

---

[14] الريشهري، محمد. *ميزان الحكمة*. قم المقدسة: دار الحديث، 2001م، ج3، ص1907.

[15] الحكيم، السيد محمد باقر. *علوم القرآن*. قم: مؤسسة الهادي، 1417هـ، ص230.

[16] العسكري، أبو محمد الحسن بن علي (الإمام). *التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)*. تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام). قم المقدسة، 1409هـ، ج1، ص1409.

ومن هنا، يصبح هذا المبحث دراسة تحليلية لكيفية دمج العناصر النفسية والعقائدية في تأويل الآية، مع الاستناد إلى المصادر التفسيرية لتوضيح الدلالات المتعددة، حيث يربط الآية بالإمام الحسين كمصداق للنفس المطمئنة"[18].

المطلب الأول: الإطار النظري للتأويل بين العقل والنقل

يبدأ التأويل من إطار نظري يجمع بين العقل كأداة لفهم الدلالات النفسية والنقل كمصدر للروايات المأثورة. الشيخ الطوسي في التبيان يفسر "النفس المطمئنة" بأنها النفس التي استقرت في طاعة الله، آمنة من الشكوك، ومبشرة بالجنة عند الموت ويوم القيامة.

يستند إلى روايات عن الأئمة تشير إلى أن الاطمئنان هو نتيجة الإيمان الصادق والعمل الصالح، قائلاً: "وقوله (يا أيتها النفس المطمئنة) قال ابن زيد عن أبيه: إن النفس المطمئنة التي فعلت طاعة الله وتجنبت معاصيه تبشر عند الموت ويوم البعث بالثواب والنعيم"[19]. هذا التفسير يعكس الجانب العقلي، حيث يُفهم الاطمئنان كحالة نفسية تنشأ من اليقين بالله، مما يتفق مع القواعد العقلية في علم النفس الروحي الذي يرى الرضا كمفتاح للسكينة الداخلية، حيث أن التأويل كما يؤول إليه في الخارج.

أما الطبرسي في مجمع البيان في تفسير القرآن، فيوضح أن النفس المطمئنة هي الراضية بما قدره الله، مرضية عنده، مستشهداً بروايات عن الحسن ومجاهد تفيد أنها النفس الموقنة بالثواب والبعث.

يقول: "(يا أيتها النفس المطمئنة) بالإيمان المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب والبعث، والطمأنينة: حقيقة الإيمان، عن الحسن ومجاهد"[20]. هذا يبرز التوفيق بين العقل كفهم للرضا كحالة نفسية والنقل كروايات تحدد الثواب الأخروي كمصدر للاطمئنان، فعن الإمام الصادق: "إذا حضر المؤمن الوفاة نادى مناد من عند الله: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي بولاية علي مرضية بالثواب"[21]، مما يعزز الربط بين الاطمئنان

---

[17] زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام) *رسالة الحقوق*. شرح وتحقيق: حسن السيد علي القبانچي. قم المقدسة: مؤسسة إسماعيليان، الطبعة الثانية، 1406هـ، ص635.

[18] البحراني، هاشم الحسيني *البرهان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي، 2013م، ج5، ص657.

[19] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن *التبيان في تفسير القرآن*. تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1409هـ.ق، ج10، ص344.

[20] الطبرسي، الفضل بن الحسن أبو علي *مجمع البيان في تفسير القرآن*. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1415هـ/1995م، ج10، ص355.

[21] القمي، علي بن إبراهيم أبو الحسن *تفسير القمي*. تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري. قم: مطبعة النجف، 1387هـ، ج2، ص422.

والولاء. في هذا الإطار، يصبح التأويل عملية تحليلية تجمع بين الدلالة اللغوية (المطمئنة من الاطمئنان كسكون) والدلالة العقائدية (الرضا بالقضاء الإلهي كطريق إلى الجنة)، مما يجعل الآية دعوة للارتقاء النفسي نحو الكمال، فهي تعني الحسين بن علي عليه السلام، ذو النفس المطمئنة الراضية.

علاوة على ذلك، يمكن توسيع الإطار النظري ليشمل مقارنة مع مراتب النفس الأخرى في القرآن. النفس المطمئنة تأتي كذروة بعد النفس الأمارة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[22] التي تأمر بالسوء، والنفس اللوامة ، قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[23] ،التي تلوم على الخطأ. هذا التصنيف يعكس رحلة الإنسان نحو الكمال.

المطلب الثاني: أطراف الرضا كمفتاح للنفس المطمئنة

الرضا هو جوهر النفس المطمئنة، وله شعب متعددة تؤدي إلى رضا الله عن العبد.

أولها: الرضا بالتكاليف والأحكام الإلهية، حيث اختار الله للإنسان أنبياء وكتبًا وشرائع لتكميله، كما في قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[24] .

وقوله:

﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[25] .

فالرضا يتطلب عدم الاعتراض على الأحكام، حتى لو بدت صعبة، ويُعزز بدعاء الرضا في الروايات، مثل ما ورد عن الإمام الجواد والصادق (عليه السلام) عند سماع الأذان: "رضيت بالله ربًا وبمحمد نبيًا وبعلي إمامًا وبأئمة المعصومين"[26]، وعن الإمام الكاظم (ع) في سجدة الشكر بعد الصلاة: "رضيت بالله ربًا... وبعلي إمامًا والحسن إمامًا... اللهم إني رضيت بهم أئمة فرضني لهم"[27]. كما في تلقين الميت: "قل رضيت بالله ربًا... وبعلي إمامًا"[28]، مما يؤكد الرضا بالعقائد والتشريعات، ويشير إلى النص على إمامة الأئمة الاثني عشر (عليه السلام) كمصداق عقائدي، مخالفًا لمن يراهم مجرد علماء أبرار دون تنصيب إلهي.

ثانيها: الرضا بالعطاء الإلهي والرزق، حيث قدر الله الأرزاق بحكمة، قال تعالى:

---

[22] سورة يوسف : الآية 53

[23] سورة القيامة: الآية 2

[24] سورة القصص، الآية 68

[25] سورة النساء: الآية 65

[26] المجلسي، محمد باقر *بحار الأنوار*. تحقيق: محمد الباقر البهبودي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1403هـ/1983م، ج83، ص143.

[27] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن *تهذيب الأحكام*. بيروت: دار المرتضى، الطبعة الأولى، 1900م، ج2، ص109.

[28] القمي، الشيخ عباس ،مفاتيح الجنان ،كتابخانه مدرسه فقاهت، ص143

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[29]

فالاعتراض يؤدي إلى التسخط، بينما الرضا يجلب الشكر، إذ يعلم الله ما يصلح العبد:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[30]

ثالثها: الرضا بالمصائب والمشاكل، حيث يهب الله ما يشاء:

﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[31]

فالرضا هنا يعني عدم الضيق الداخلي، مما يؤدي إلى الطمأنينة.

المطلب الثالث: التأويل التفسيري والعقائدي في ضوء الروايات

يُعدّ مفهوم النفس المطمئنة من المفاهيم القرآنية العميقة التي تداخل فيها البعد التفسيري مع البعد العقائدي، فالتفسير العام للنص يذهب إلى أن النفس المطمئنة هي نفس المؤمن الذي بلغ مقام اليقين، فاطمأن قلبه بالإيمان، وانشرح صدره بالذكر، وزال عنه الشك والاضطراب، حتى صار راضيًا بربوبية الله ومرضياً عنده، وهو ما أكده المفسرون في مدارسهم التفسيرية المختلفة باعتبارها مقامًا روحياً يتوّج مسيرة المؤمن في تزكية النفس والارتقاء بها. غير أن الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) أضفت على هذا المفهوم بعداً عقائدياً خاصاً، إذ نقلت النص من دائرة التفسير العام إلى دائرة التأويل الباطني الذي يربط النفس المطمئنة بمقام الإمامة والولاية، حيث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنها سورة الحسين بن علي من قرأها كان مع الحسين يوم القيامة»، وفي نص آخر: «إنما يعني الحسين بن علي فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد الراضون عن الله يوم القيامة وهو راض عنهم». وهذا المعنى يكشف أن النفس المطمئنة ليست مجرد حالة نفسية يعيشها المؤمن، بل مقام عقدي متجسد في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) الذي واجه في كربلاء أعظم الابتلاءات وهو راضٍ بقضاء الله مطمئن إلى وعده، ليصبح المصداق الأكمل لهذا المقام القرآني.

وإذا كان التفسير العام يجعل الطمأنينة غاية كل مؤمن يسعى عبر الذكر والعمل الصالح إلى الاستقرار النفسي والروحي، فإن التأويل العقائدي يوسّع الدلالة لتشمل البعد الجمعي للأمة، حيث يتجلى الاطمئنان في مشروع الإمامة والولاية، بوصفهما الضمانة لحفظ الدين وبقاء خط التوحيد. ومن هنا فإن ولاء المؤمن لأهل البيت (عليهم السلام) ليس مجرد عاطفة روحية، بل شرط جوهري لتحقيق الطمأنينة، لأن الولاية تمثل الامتداد الشرعي للرسالة. هذا المعنى يعكس أن النفس المطمئنة لا تُفهم إلا في إطار الانتماء لمشروع الحق والعدل، وتجسيد قيم التضحية والصبر كما فعل الإمام الحسين في كربلاء، حيث تحولت الطمأنينة من حالة فردية إلى رسالة تاريخية تؤسس لهوية الأمة.

---

[29] سورة هود: الآية 6

[30] سورة ق: الآية 16

[31] سورة الشورى : الآية 49

إلى جانب ذلك، يمكن النظر إلى هذا المفهوم بوصفه جسرًا بين الباطن والظاهر؛ فالتفسير العام يعبّر عن الظاهر المتاح للجميع، بينما التأويل العقائدي يقدّم الباطن الذي يكشف عن مصاديق مخصوصة. وهذا التكامل بين الظاهر والباطن يعكس طبيعة الخطاب القرآني الذي يتسع للمعاني المتعددة دون تناقض، بل ليكشف عن مراتب من الفهم تتناسب مع مستويات الوعي الروحي والعقائدي. وهنا يظهر دور الروايات في توجيه القارئ إلى الأفق الأوسع للمعنى، حيث لا تُقرأ الآية فقط بوصفها خطابًا للنفوس المؤمنة عامة، بل بوصفها أيضًا شهادة قرآنية على مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه.

ومن ثمّ، يصبح مقام النفس المطمئنة مرآة لثلاثة مستويات متداخلة: الأول فردي، يتحقق عبر الإيمان والذكر والعمل الصالح؛ والثاني جماعي، يتجسد في المشروع الولائي الإمامي الذي يحفظ الدين؛ والثالث قدسي، يتمثل في شخصيات مصطفاة كالشهيد الحسين الذي مثّل قمة الاطمئنان والرضا. وبهذا تتضح دلالة أعمق للنص: أن الطمأنينة ليست نهاية طريق المؤمن الفرد فقط، بل هي أيضًا هوية الأمة التي تتبنى الولاء لله ولأوليائه، لتعيش الرضا والسكينة في الدنيا وتفوز بالرضوان في الآخرة.

الخاتمة:

يتبين من خلال هذه الدراسة أن مفهوم النفس المطمئنة في القرآن الكريم ليس مجرد تعبير رمزي أو حالة وجدانية عابرة، بل هو مقام إيماني رفيع يمثل ذروة مراتب النفس الإنسانية، حيث يجتمع فيه اليقين بالله، والرضا بقضائه، والسكينة القلبية التي لا تهزها النعم ولا تزلزلها المصائب. وقد أظهرت النصوص القرآنية والروايات المأثورة أن الاطمئنان يتحقق عبر رحلة طويلة من مجاهدة النفس وتزكيتها، تبدأ بالنفس الأمارة بالسوء، ثم اللوامة التي تحاسب صاحبها، وصولاً إلى المطمئنة التي استسلمت لله ورضيت بحكمه واطمأنت لولايته. كما أكدت الدراسة أن هذا المفهوم يتوزع بين بعدين متكاملين: البعد العام الذي يشمل المؤمنين الذين بلغوا مقام الطمأنينة بالذكر والإيمان والعمل الصالح، والبعد الخاص الذي تجسد في مصاديق الإمامة والولاية، حيث اعتبرت الروايات الإمام الحسين (عليه السلام) المصداق الأسمى للنفس المطمئنة لما جسده من رضا وتسليم في كربلاء. وبذلك يظهر أن النفس المطمئنة ليست مجرد حالة نفسية، وإنما مشروع متكامل يجمع بين التربية الروحية والعقيدة الدينية، ليشكل نموذجاً للإنسان الكامل في المنظور القرآني.

النتائج:

- النفس المطمئنة تمثل قمة مراتب النفس الإنسانية في القرآن الكريم، وتتحقق بالطمأنينة القلبية والرضا الإلهي الناتج عن الإيمان والعمل الصالح.
- المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفس يكشف عن ثراء دلالي يجمع بين الروح والذات والهمة، مما يفسر تعدد التفسيرات والتأويلات.
- التفاسير العامة ركزت على الاطمئنان كحالة إيمانية عند الموت والبعث، بينما الروايات الشيعية ربطته بالإمامة، وجعلت الإمام الحسين (عليه السلام) تجسيداً للنفس المطمئنة.
- الاطمئنان مرتبط جوهرياً بـ الرضا؛ فالرضا بالتكاليف والأحكام والمصائب شرط أساسي لتحقيق الطمأنينة.
- المفهوم القرآني للنفس المطمئنة يقدم نموذجاً عملياً لتجاوز القلق والاضطراب عبر الذكر والتسليم والولاية.

- النفس المطمئنة قيمة تربوية وعقدية تؤثر في بناء الشخصية المؤمنة وتشكيل المجتمع الإسلامي القائم على الطمأنينة والرضا.

التوصيات:

- تكثيف الدراسات المتخصصة حول مراتب النفس في القرآن الكريم، خاصة في سياق المقارنة بين التفسير العام والتأويل الخاص، لتعزيز فهم البنية القرآنية المتكاملة للنفس الإنسانية.
- التوسع في الدراسات العقدية المتعلقة بالروايات التي تربط النفس المطمئنة بالإمامة والولاية، مع إبراز انعكاس ذلك على البناء العقدي الشيعي.
- الاستفادة التربوية والنفسية من المفهوم القرآني للنفس المطمئنة، عبر إدماجه في البرامج التي تعزز الاستقرار النفسي والسكينة الروحية، خصوصاً في ظل الأزمات المعاصرة.
- تشجيع الدراسات البينية التي تربط بين علم النفس الحديث والدراسات القرآنية، لفتح آفاق جديدة لفهم العلاقة بين الإيمان والصحة النفسية.
- تركيز المربين والوعاظ على مفهوم الرضا كشرط أساسي للاطمئنان، وربطه عملياً بوسائل الذكر والطاعة والارتباط بالولاية، ليصبح منهجاً عملياً للحياة.
- الاستفادة من النموذج الحسيني كنموذج تربوي–عقدي يبرز أرقى صور النفس المطمئنة، وتوظيفه في تنشئة الأجيال على قيم الصبر والرضا والتسليم لله تعالى.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، مادة (نفس).
- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- البحراني، هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 2013م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت 816هـ)، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، 1405هـ.
- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م.
- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة (آل البيت)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1414هـ.
- الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، مؤسسة الهادي، قم، 1417هـ.
- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، 2001م.

- زين العابدين، علي بن الحسين (عليه السلام)، رسالة الحقوق، شرح حسن السيد علي القبانچي، مؤسسة إسماعيليان، قم، 1406هـ.
- سعد رياض، موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2008م.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جماعة الحوزة، قم، 1321–1402هـ.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1415هـ/1995م.
- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، 1409هـ.
- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، دار المرتضى، بيروت، ط1، 1900م.
- العسكري، أبي محمد الحسن بن علي، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي، قم، 1409هـ.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ص745.
- القمي، أبي الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمي، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، قم، 1387هـ.
- القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، كتابخانه مدرسه فقاهت.
- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1403هـ/1983م.
- المقري الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.
- نوري، أنوار زهير، النفس الإنسانية وثغراتها وكيفية تغييرها والارتقاء بها، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2012م.